

السود والعنف في أمريكا

بقلم فريده النفاك

يعطون رحلة الآلام الطويلة عبر المحيط في مراكب شرعية ، وربما كانت أفران النازي مجرد تطوير فحسب للأساليب الوحشية التي استخدمها الرجل الأبيض في قهر الأفريقيين وتكديسهم وتعذيبهم عذابا نفسيا وبدنيا يفوق كل خيال .

تقول الروائية الأميركية « هاريت بيتشرستاد » مؤلفة « كوخ العم نوم » : « ان بجار الرقيق كانوا يحرسون على علف الزوج علفا سخيا كل يوم بقصد أن يصبحوا بضاعة جيدة، ورغم ذلك كان الكثيرون منهم ينزعون الى الهزال المستمر » . ونقول على لسان أحد السادة البيض : « أنا لست ممن يصدعون رؤوسهم بتطبيب الزوج ومعالجتهم، اذ أفضل أن أسهلهم وأشتري بضاعة جديدة ، تلك هي سياستي ، انها أخف وطأة ، وأنا واثق انها في النهاية أرخص وأوفر » .

ولما كانت ولايات الجنوب هي الولايات الزراعية التي تستخدم العبيد بكثرة ، أصبح الجنوب وما زال حتى الآن معقلا للنصب العنصري ضد الملونين ، وقبل اندلاع الحرب الأهلية مباشرة والتي كانت صراعا - كما يقول المؤرخون الجدد - بين مئتين من البيض لأسباب اقتصادية بحثة ، كان المعصبون الجنوبيون يبررون ضرورة الإبقاء على نظام العبيد لانهم غير قادرين فطريا على التعلم ، بينما انطلق رجال الدين البيض يفسرون نظام العبودية تفسيراً مسيحياً : « فالعبودية هي الطريق الوحيد لكي نعلمهم المسيحية وننقل اليهم تعاليم عيسى » .

وحين وقعت الحرب الأهلية لم تتم - كما هو شائع - من أجل تحرير العبيد (وهي الفضيحة التي يتاجر بها الأميركيون الآن) وإنما كانت الحرب بين الشمال والجنوب من أجل السيطرة الاقتصادية على البلاد ، ولم تكن قضية عبودية السود ذات أهمية حقيقية . لقد بدأت الحرب في عام ١٨٦١ ، ولم يوسع لتكوين وثيقة تحرير العبيد حتى عام ١٨٦٢ ، وقال أكثر من مرة انه استطاع أن يحافظ على وحدة الشمال والجنوب دون تحرير العبيد « فأنا أف في صف المحافظين على المركز المنفوق للجنس الأبيض » .

وامتدت عمليات محاربة هذا الجنس الاسود وتضييق الخناق عليه من القوانين حتى عمليات الاغتيال والتعذيب العلنية في الشوارع ، « وكانت قوانين الهجرة تفتح ابواب أميركا للشعوب

حين نولى ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة الأميركية تحدث عن مشكلة السود في أميركا قائلا : « لا يستطيع الانسان ان يكون حرا تماما بينما لا يتمتع جاره بالحرية ، ولكي نتقدم حقا يجب ان نتقدم معا ، وذلك يعني السود والبيض معا كامة واحدة لا كأميتين » . وعلق كاتب بريطاني قائلا : « ان ما يجري في أزقة السود في أميركا ليس أقل من ميلاد أمة » .

وبالت أحداث دامية كثيرة في فترة حكم نيكسون حيث كان عدد كبير من السود المخلفي الاتجاهات قد سئموا السير الطويل والجلوس على الأرض احتجاجا واستجداء للحرية والسلام من البيض ، هذا الموقف الذي بناه ودافع عنه بحرارة مارتن لوثر كنج ، والذي جاء اغتياله علامة على عصر ينقضي وايدانا بميلاد عصر جديد يتولى فيه الأميركي الاسود زمام المبادرة للمرة الأولى في تاريخه ، حيث عرف طريق الفئابل والرصاص والمواجهة المباشرة للعدو .

وقصة السود في أميركا قصة طويلة تمتد فصولها الدامية على مدى أربعة قرون طويلة ، انتقل العالم الجديد فيها من جزر مهجورة نائية الى مجتمع نري ، ثم الى مجتمع صناعي متقدم - ولعبة الصناعة والمال والتكنولوجيا في العالم . ومع تطور هذا « المجتمع العظيم » كان السود ينتقلون من العبودية المباشرة الصريحة الى عبودية مستترة ، وظل هؤلاء العسرون مايونا الذين انفضح الاتصال فسرا بينهم وبين تاريخهم وحضارتهم وحتى أسمائهم القديمة ، يعيشون غرباء وضائعين في قلب مجتمع ينظر اليهم بازدراء في مجوعة ، ويضعهم في أدنى درجات السلم الاجتماعي والاقتصادي .

نزل السود الأفريقيون الى الشاطئ الأميركي منذ أربعة قرون، ليبيعهم السادة البيض في سوق الرقيق ، فعملوا عبيدا في الأرض وخدموا في البيوت ، وكانت فقرات القساوان الذي ينظم علاقتهم بأسياهم تقول ان للهولى حقا مطلقا في بيع العبد وكرانه ورهنه والمقامرة عليه ، وعلى العبد أن يطيع ، وليس للعبد حق الذهاب والمجيء الا بأذن سيده ، وإذا اجتمع في الطريق أكثر من سبعة منهم اعتبروا مخالفين للقانون ، ولا يحق لهم أن يشهدوا في قضية الا على العبيد أمثالهم ، وإذا أجبر أحدهم على ضرب الرجل الأبيض انقضاء لاذاه ضربا أدى الى مقتل الأبيض عد الاسود مرتكبا لجريمة قتل .

وكان هؤلاء العبيد السود المنتزعون قسرا وقهرا من أراضيهم

الأوروبية وتكاد تفلحها أمام الزوج والملونين . وفي سنة ١٧٩٠ كانت النسبة المثوية للزوج في اميركا ١٩٤٣ ٪ من تعداد السكان ، وتوالى انخفاض هذه النسبة حتى وصل ١٠ ٪ من السكان ، وهؤلاء هم الذين استطاعوا أن يقاوموا عمليات التعذيب الوحشية والاستغلال فلم يلحقهم الموت .

ورغم كل هذا العذاب فان السود استتركوا في الثورة الاميركية ضد الاستعمار الانكليزي ، وكان في قيادة الثورة رجل اسود يدعى « كريس اناكس » كان يحث مواطنيه البيض على الصمود والنضال في أحد المواقع عند ميناء « بوستن » ولكن أحدهم استدار اليه قائلاً : « ايها الاسود المنحط ، ما دخلك انت في خلافات البيض مع بعضهم البعض » .

ولكن اناكس مات دفاعاً عن الحرية لاميركا ، لكل الاميركيين ، وسقط معه أكثر من خمسة آلاف شهيد اسود كانوا يحملون جميعاً بالحرية والامان والثبات من أسر الاستعمار الوحشي ، وغنت « فرانس الين هاربر » في قصيدتها الجميلة « ضحى نفسك في أرض حرة » فائلاً :

« احفر لي قبراً حيث تشاء
في السهل المنبسط او فوق القلعة العالية
احفر في أي أرض وضيفة
ولكن تجنب أرضاً تحمل عبيداً
لا راحة لي مطلقاً في قبري
إذا سمعت وقع خطوات عبيد مدعورين
ويكفي أن يرسم ظل أحدهم فوق قبري الابكم
حتى يتحول الى مكان رهيب » .

لقد خاض السود جميع المعارك الاميركية منذ التحرير حتى الحرب العالمية الثانية ، واجتازوا المحن دساعاً عن « المجد الابيض والثراء الابيض ولم يجنوا شيئاً لانفسهم » ، وكما قال الدكتور ديبوا ، أحد المؤسسين الاوائل لحركة الجامعة الافريقية ، في عيد ميلاده التسعين بعد أن هجر اميركا : « عشت في بلادي ما يقرب من قرن كامل ولم أزد عن زنجي » .

وقد ظل الاقتصاد الراسمالي الاستغلالي جنباً الى جنب مع الفلسفة العنصرية البيضاء الحقيقيين الاساسيين وراء فضيحة اضطهاد الزوج في اميركا طيلة القرون الماضية ، ذلك بالرغم من الاختلافات والتفسيرات الجزئية التي طرأت عليها نتيجة لتغيير الظروف وخروج المجتمع الانساني نفسه من عصر الاقتصاد الزراعي الى عصر الصناعة .

وتقول الارقام ان ما يقرب من ٧٠ ٪ من السود الاميركيين يقفون في أدنى درجات السلم الاجتماعي والاقتصادي ، فبينما تقف البطالة بين البيض عند حدود ٢٤ ٪ نجدتها تصل بين السود الى ٧٤٢ ٪ ، وفي الاحياء الفقيرة « الجيتو » ، وهي احياء الزوج الفترة المكثفة بالسكان ، تصل نسبة البطالة بين الشبان السود الى ٥٠ ٪ ، ويشكل السود في تعداد ١٩٦٤ حوالي ١١ ٪ من مجموع السكان في اميركا ، ولكن نسبتهم تصل الى ٩ ٪ من مجموع الوحدات العائلية ، فقد وصلت نسبة الاطفال غير الشرعيين بين البيض في عام ١٩٦٦ الى ٤ ٪ بينما وصلت بين السود الى ٢٦٤٣ ٪ ، ويبلغ متوسط عمر الرجل الابيض ٧١ عاماً بينما لا يتجاوز عمر الاسود ٦٤ عاماً .

وكل هذه نتائج مباشرة للاستغلال الاقتصادي الجشع الذي

تمارسه الاحتكارات الاميركية والنظام الاجتماعي المترتب عليها ضد السود ، ولعل الاحصاءات التي تمثل متوسط دخل الاسرة السوداء مقارناً بمتوسط دخل الاسرة البيضاء ، تعطي الترجمة الحقيقية لمعنى الاستغلال الراسمالي الابيض :

السنة	متوسط دخل الاسرة البيضاء	متوسط دخل الاسرة السوداء	نسبة دخل الاسرة السوداء الى البيضاء
١٩٥٨	٥٢٠٠ دولار	٢٩١٧	٥١ ٪
١٩٥٩	٥٦٤٢ دولار	٢٧١١	٥٢ ٪
١٩٦٠	٥٨٢٥ دولار	٢٢٢٣	٥٥ ٪

ويجري الدكتور عبد الملك عودة في كتابه « ثورة الزوج في اميركا » وصفاً دقيقاً للحالة الاجتماعية المنحطة التي نعيشها اليوم الغالبية العظمى من السود الاميركيين نتيجة لهذه الاوضاع الاقتصادية . ففي « الجيتو » يتكدس العاملون والعاطلون والشرفاء والمتحرفون والرجال والنساء في اوضاع سيئة للغاية ، وينتشر في اوساطهم الفقر والحاجة والهبل والانحراف ، كما تتفقد علاقاتهم مع الاجناس والافليات والانوان الاخرى ، واذا كان هذا القول ينطبق على الزوج كمجموعة بشرية فان مشكلات عديدة تواجههم كأفراد ، فالرجل الاسود تواجهه مشكلة البحث عن عمل ، وهنا يصطدم بأوضاع النقابات العمالية التي لا تأخذ حتى الآن بالاندماج بين جميع العمال في تنظيم واحد ، ويترب على هذا ان متوسط أجر العامل الاسود أقل من متوسط أجر العامل الابيض ، وان نسبة البطالة والتشرد بين الزوج أكثر ارتفاعاً منها بين بيض اللون ، ويتفشى بين السود تعاطي المخدرات والجرائم وأوكار البغاء والسكر ، ويزداد نسبة التخلف العقلي بين أطفالهم الذين يفترقون الى الرعاية الصحية التي يتلقاها اطفال البيض .

ومن الناحية القانونية يعتبر السود اميركيين ولكن أصبح من الواضح بصورة متزايدة ان الولايات المتحدة أخذت تتبلور في شكل أمتين احدهما للبيض والاخرى للسود .

وكان لا بد من البحث عن غطاء فلسفي لهذا الواقع الاستغلالي البشع ، وهذه النظرة العنصرية الرهيبة التي تتعالى على الانسان الاسود وتحقره بحجة « انه كسول بطبعه وغير قادر على العمل في عالم الرجل الابيض ولهذا يعيش متخلفاً » هي التفسير الاخلاقي الذي يقدمه المستغلون تبريراً لعنصريتهم .

وفي تقرير صدر عام ١٩٦٧ للجنة الخاصة التي شكلت لبحث الاضطرابات في صيف ذلك العام ، تؤكد اللجنة ان استجابة السلطة البيضاء للاضطرابات التي وقعت في مناطق السود الفقيرة ، اتخذت شكل أعمال القتل الفعلية ، وقالت اللجنة ان السبب الاساسي والجذري لمشكلة السود هي عنصرية البيض .

ولكن خلف عنصرية البيض المقيتة تكمن الحقائق الاقتصادية ، فالترفة العنصرية هي وسيلة اساسية من وسائل جني الارباح وتكديس الثروات ثم اعادة استثمارها منذ نشأة الجنوب الزراعي على اكناف الرقيق الاسود ، وبعد ان تحولت ارباحه الطائلة الى استثمارات صناعية كبيرة في الشمال ، ولم يكن شيئاً عارضاً بعد ذلك ان تقوم الاحتكارات الاميركية الكبرى بنقل كثير من مصانعها حديثاً الى الجنوب حيث يستطيعون استخدام العمال السود بأجر أقل مما يدفعونه للبيض في الشمال ، فالعامل في ولاية المسيسيبي يتقاضى ما يزيد قليلاً عن نصف الاجر الذي يتقاضاه مثيله في ميتشغان ، وفي نفس الوقت فان كبار الصناعيين في الشمال يدفعون أجوراً منخفضة للعمال مسطلين عليهم سيف التهديد بنقل المشروعات الصناعية الى

السود والعنف في اميركا

تمة المنشور على الصفحة - ٢٧ -

الجنوب ، وهكذا يصبح استنزاف الزنوج المسنم وسيلة لخفيض مستوى المعيشة بالنسبة للعمال البيض الفقراء .

ويقودنا هذا بالضرورة الى مناقشة موقف العمال البيض من قضية السود الاميركيين ، فمن الغريب ان اكثر الفئات عنصرية في المجتمع الاميركي وعداء للسود هم العمال الفقراء والطبقات الشعبية المنهكة بصفة عامة . ومرد ذلك الى ان البورجوازية الاميركية الكبيرة تغذي هذا العداء العنصري بوسائل مختلفة . فمثلا هي تصور لهم ان المنافسين الحقيقيين لهم في لقمة العيش ونحسين مستوى معيشتهم هم الزنوج الذين يعملون كاحتياطي للايدي العاملة البيضاء ، ونسب تغذية هذا العداء وشحذه - بالإضافة بالطبع الى سيطرتهم على وسائل وادوات الاناج - عن طريق السيطرة الكاملة الفكرية والادارية على أجهزة الاعلام من اذاعة وليفزيون وثقافة .

كذلك فان اضطهاد الزنوج واحقارهم يساعد ففراء البيض نفسيا على نفي مرابهم وحفدهم على المجتمع الذي يدفعهم باستمرار الى عالم غير آمن وغير مضمون ، ويهددهم بشبح البطالة والفساد والجريمة ، فيصبح السود موضوعا دائما لحفدهم ، وشيئا أدنى يحسون ازاءه بالتفوق الذي لا يستشعرونه تجاه اي شيء آخر .

ونغذي البورجوازية الكبيرة هذا الاحساس بالتفوق حتى نطف حائلا بين التفاء هذه العناصر جميعا حيب نهيء لها الظروف الموضوعية أرضا للالتقاء من أجل الثورة ونغيير تركيب المجتمع الاميركي واعادة توزيع الثروة . ويهدد شبح هذا الالتقاء كل المصالح الراسمالية الكبيرة ، ان تصبح الثورة الطبقيية حينئذ قوة لا مرد لها تجرف كل شيء وتتخطى كل الحواجز .

يقول الدكتور ديبوا : « ان العمال الاميركيين البيض يكرهون العمال السود ويمنعونهم من الانضمام في المنظمات والنفابات العمالية ، وان ثورة البروليتاريا البيضاء لا تحل مشكلات البروليتاريا السوداء ، او انه لا بد من الاعتراف بتقسيم طبقي وتقسيم لوني » .

ويقول ليون نروتسكي عن القومية السوداء والحكم الذاتي : « ان الانقسام بين العمال السود والعمال البيض لا يمكن معالجته حتى يضم العمال البيض الى العمال السود في نضال مشترك ، وحتى ياتي هذا الوقت لا يستطيع السود أن ينظروا الى البيض على انهم اصدقاء » .

ان المجتمع الابيض في اميركا يتشارك بكل طبقاته وتنظيماته في استغلال الملونين ، حتى الحركة الشيوعية في رفضها الاعتراف بحقيقة المشاعر العنصرية لدى العمال البيض نفقز فوق الواسع وتجاهله وتصل طريقها عندما تواجه مشكلة الملونين .

ويقول ستوكلي كارمايكل : « ان الحزب الشيوعي الاميركي هو حزب البورجوازيين والاعيان الذين يستفيدون من النظام الراسمالي ، فلديهم بيوت جميلة والعديد من الخدم ، ويرحون أموالا كثيرة ، وعلاقاتهم طيبة مع القادة ، ولو ان ماركس ولينين كانا في الحزب الشيوعي الاميركي لتحولا الى راسماليين » .

وازاء هذا الرفض من المجتمع الابيض - حتى طبقاته المستقلة - للزنوج واصرارهم على احتقار آدميتهم ، واستغلالهم ، كان لا بد للملونين من الحركة المستقلة القائمة على أساس اللون والتعصبية ضد البيض أحيانا . وبالفعل ظهر كثير من الزعماء (ديبوا ، وغارمن) في مطلع هذا القرن ، وظهر ايضا العديد من التنظيمات السوداء مثل

المنظمة القومية لتقدم الملونين التي قادها الدكتور وليام ديبوا ، ومؤتمر فيادات الجنوبيين المسيحيين ، والرابطة القومية للعمل في البيئة الحضرية ، ومجلس المساواة العنصرية ، ولجنة تنسيق العمل الطلابي ، وحركة امة الاسلام السوداء .

ويدون الدخول في تفاصيل هذه التنظيمات وخلافاتها ، فانه يمكن ملاحظة ثلاثة يارات رئيسية برزت خلال حركة الزنوج الاميركيين :

التيار الاول الذي برز مع بداية هذا القرن ، يمثل رد فصل عنيقا وحادا ومتعصبا أيضا ضد العالم الابيض . يقول ماركوس جارفي ، أحد أنبياء هذا التيار : « نحن أحفاد شعب طالما عانى وما أكثر مسا تالم . ولكنه الان ، قد صمم على ان يضع حدا لآلامه . اننا منذ هذه اللحظة سنوحد الاربعمائة مليون زنجي الموجودين في هذا العالم في منظمة واحدة لترفع علم الحرية في سماء القارة الافريقية . فاذا كانت أوروبا للاروبيين ، فان أفريقيا ستكون موطننا للشعوب السوداء » . وقال جارفي أيضا عام ١٩٢٠ : « انني اعتقد في جنس اسود نقي ، تماما كما يؤمن البيض في جنس ابيض نقي » .

وكتب ديبوا عام ١٩١٩ : « ان الحركة الافريقية تعني بالنسبة لنا ما تعنيه الحركة الصهيونية بالنسبة لليهود ، تركيز جهود جنسنا والاعتراف بمنبعنا الجنسي » .

ونادي جارفي وغيره « بتزنيج » كل شيء حتى الدين . وفي سبيل نشر ديانة سوداء ، كان أحد أنصاره وهو المطران الكسنسدر يقول : « تناسوا الالهة البيض وانزعوهم من فلوبكم » .

وأعلن راهب بروتستانتني اسود : « ان المسيح اسود » . وما ان جاء عام ١٩٢٤ حتى كانت « صورنا عذراء سوداء ، ومصلوب اسود ، شاعنتين بين الزنوج معلقتين في كل صدر ، وفي كل بيت تقريبا » . وفي نفس العام أصدر المطران الكسنسدر بيانا دعا فيه الزنوج « الى تخصيص يوم يمزقون فيه جميع الصور التي تمثل العذراء البيضاء بعد ان ينزعوها من بيوتهم » . وفام لهذه الحركة شعراء وكتاب تولوا الدعوة لها ، فكتب ارمانور :

الهنأ أسود
سواده من السواد الخالد
شفته غليظتان
شعره مجمد وعيناه بنيتان لامعتان
نحن خلفنا على صورته
الهنأ أسود .

وفي عام ١٩٢٠ نشأت حركة المسلمين السود ، تحمل بصمات هذا التيار بوضوح ، وتمجد العرق والسلالة . وتزعم هذه الحركة الحاج محمد يساعده مالكولم أكس . وتطورت الحركة بسرعة ، فانشأت الجوامع والمدارس الخاصة بالمسلمين ، وتزايد أنصارها حتى بلغوا (٢٥٠.٠٠٠) من الاعضاء « ودخل كثير من الزنوج في الاسلام نتيجة لاحساس عميق بأن المسيحيين قد خذلوهم » .

وكونت الحركة الجديدة - التي نجحت في اصلاح كثير من الشباب - مجتمعا متماسكا للمنتهين اليها « فهم يتزوجون فيما بينهم ، ويتاجر بعضهم مع بعض ، ولا يشربون الكحول ، ويطبقون كثيرا من تعاليم الدين الاسلامي » .

وكان موقف المسلمين السود هو الرفض المطلق للمجتمع الاميركي القائم . فهم لم يشاركوا في المظاهرات او الاحتجاجات او الانتخابات . وردد زعماء هذه الحركة شعارات الجنس المختار ، مع اختلاف واحد عما يقوله البيض ، هو انه في هذه المرة الجنس الاسود « فليس سوى الانسان الاسود . انه الاول والاخير والصانع والمالك لهذا الوجود ، منه انحدر الجميع : الاسمر والاصفر والابيض » .

ويقول الحاج محمد في مقال له : « الوحش البشري ، العية ،

التنين ، الشر ، الشيطان ، كل هذه تعني شيئاً واحداً ، وواحداً فقط ، إنه الرجل الأبيض القوافزي الذي يطلقون عليه اسم الاوروبي أحيانا . ولما كان البيض بظفرتهم خلقوا كذابين فلة ، فانهم خصوم الحق والصالح » .

وبالرغم من الطبيعة العنصرية المتعصبة لهذا التيار بشكل عام ، فان كثيراً مما طرحه لعبدورا هاما في فكر الحركات الحديثة . فالربط بين كفاح السود في اميركا وافريقيا ، هو ما يدعو اليه كارمايكل حالياً بصورة متطورة عندما يربط كفاح الملونين في اميركا بكفاح المسالم الثالث . بل ان حركة المسلمين السود أفرزت نيابا غير متعصب تزعمه مالكولم اكس الذي ترك الحركة وأسس هيئة جديدة باسم منظمة التضامن الافريقي الاسيوي ، وأعلن انه ترك هذه الحركة لاعتقاده انها متعصبة « وان هذا التعصب قد ينتهي الى تجميد عملها النضالي ، ولذلك فسوف نقبل في صفوفنا المسيحيين واليهود السود ، بل اننا سنقبل الملحدين . وهكذا لن نقبل كل السود فحسب ولكننا سنضم المسلمين البيض ، لان اللون ليس عامل تمييز في نظر الاسلام . ولكن في الوقت الذي يقود التعصب العنصري الاعمى اميركا في طريق الانتحار والدمار ، فانا أمل أن يتفهم الجيل الصاعد من البيض الرسالة التي نقلها اليه » .

ولكن مالكولم اكس اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥ ، وفيل ان المغايرت الاميركية هي التي قتلته .

وفي بداية الخمسينات لم يعد هذا التيار هو التيار الاساسي في حركة الزواج ، كان هناك نيار آخر قديم أخذ ينمو ويشتد ويتعارض معه ، وهو تيار النضال السلمي واللاعنف بزعامه مارتن لوتر كنج . ويرى هؤلاء انهم جزء من الحضارة والمجتمع الاميركي ، وعليهم العمل من خلال القوانين والتشريعات ، وباسلوب الاحتجاج السلمي من أجل الحصول على المساواة الكاملة . وهدفهم النهائي اعتراف الرجل الابيض بهم في اطار ما هو قائم .

ويرى لويس لوماكس ، وهو أحد المؤرخين لثورة الزواج ، ان هذه الحركة بدأت حين رفضت سيدة ملونة « روزا باركس » أن تمثل لامر تلقته من سائق أوتوبيس ابيض في مدينة مونتغمري بولاية الاباما في الجنوب ، حين قال لها بعنف أن تترك مكانها للرجل الابيض الوافف امام مقعدها . ورفضت السيدة العجوز ذات الخمسين عاما (وكانت السيدة روزا قد فاض كاسها) . واعتقل البوليس هذه السيدة . وانتظم السود في حركة مقاطعة تامة للاوتوبيسات في هذه الولاية . ومن خلال هذه المقاطعة توصل الزواج في مونتغمري بقيادة الاب مارتن لوتر كنج ، الذي لمع لأول مرة كزعيم سياسي ، الى تأليف مؤتمر الجنوبيين المسيحيين ، كمنظمة سياسية تعمل بوسائل اللاعنف لحل قضية السود .

واكتسب هذا التيار أنصاره من بين ما يسمى « البورجوازية السوداء » ، وهي تسمية تطلق على الزواج الاميركيين الذين ارتفعت مستويات دخولهم الى مستويات البيض . لقد حدثت التفرقة الجديدة بعد « التحرير والهجرة الى المدينة وقامت على اساس الوظيفة ومصدر الدخل ودرجة التعليم ونوع المهنة . ومن داخل هذه التفرقة الجديدة نشأت البورجوازية السوداء التي أتاحت لها فرص تاريخية لتولي زعامة الزواج والتحدث باسمهم . وهذه الفئة البورجوازية اتخذت أنماط معيشة البيض وعلاقتهم وفيهم حياتهم نموذجاً . وأوغلت في التعلق والتطلع الطبقي والفكري والاجتماعي » .

ويشير فرايزر في مؤلفه « النيفرو في الولايات المتحدة » الى ان هذه الفئة الزنجية من الطبقات المتوسطة تسيطر عليها الرغبة في

ان تصبح بيضاء اللون والفكر والقلب والمركز الاجتماعي . وفي رايه انها اميركية في كل شيء ما عدا اللون الذي يفصلها عن البورجوازية الاميركية البيضاء . وان هذه البورجوازية السوداء تفصلها الثقافة وليس لديها شوق للمعرفة . وأقصى ما تريده هو المركز الاجتماعي والظهور في مجالات ووسائل الاعلام والسينما والاماكن العامة . وكان « مارتن لوتر كنج » منذ نوليه زعامة مؤتمر قيادات الجنوب المسيحية يرتبط اكثر فاكثر بالليبراليين البيض الذين يجدون في مشكلة الزوج المتفائمة أمرا لا بد من ايقافه قبل أن يتحول الى ثورة عارمة مدمرة .

وكان هؤلاء الليبراليون البيض المنفتحون من الحزب الديمقراطي يشعرون انه استكمالا لظواهر التقدم والتحرر لا بد أن يكونوا لا عنصريين ! ومن هنا ساعدوا ماديا ومعنويا حركة « كنج » واستبقوها دائما في اطار ما هو قائم ، وهو الاسلوب المعروف « لتبريد الثورة واحتواء حركتها ببعض التنازلات والمعونات » .

ويقدر نجاح هذه الحركة بين الاقلية الزنجية المتبرجة ، كانت جموع العاطلين والفقراء من الزواج يتعرضون لمزيد من الضياع ويحتاجون اكثر فاكثر لمن يعبر عنهم ويفهم مشكلاتهم الحقيقية ويبحث معهم (وليس مع مستفيلهم) عن مخرج من محنة أربعة قرون . لقد بحثت الحركة عن العدل في اطار النظام ، ولم تحاول أبدا تغييره . وأصبحت مسيرات ومظاهرات الاحتجاج والمقاطعة ، والتي انضم اليها آلاف البيض « الذين لم يعرفوا أبدا ماذا يعني أن يكون الانسان أسود في المجتمع الاميركي » ، هي وسائل النضال الوحيدة .

ولم يؤد النضال السلمي في النهاية الى أية نتائج حاسمة . ولم يستطع السود الاميركيون من خلاله أن يتوصلوا الى مقابل عادل لكل ما بذلوه من عرق ودماء في بناء الحضارة الاميركية . وأخيرا اغتيل مارتن لوتر كنج « أفضل أصدقاء البيض من السود » والرجل الذي وافق في صيف عام ١٩٦٧ على ارسال القوات الفيدرالية لقمع حركة الزواج التي اشتعلت في ديترويت وامتدت الى كثير من الولايات في اميركا ، وأصدر باسم حركته بيانا يؤيد فيه اسرائيل ضد « العنصريين » العرب في حرب حزيران ١٩٦٧ .

اما التيار الثالث والذي يكسب يوما بعد يوم أرضا بين ملايين الزواج ، فهو نيار الثورة المسلحة والعنف الاسود في مواجهة القهر الابيض . وانبثق هذا التيار من أحد المنظمات الطلابية « لجنة التنسيق الطلابي السلمي » التي برز في قيادتها في الستينيات الاخيرة « راب براون » و « ستوكلي كارمايكل » و « الدرديغ كليفر » ، والتي تدعو الى السلطة السوداء .

والسلطة السوداء تعني باختصار شديد أن يتوصل السود بنضالهم المسلح الى حكم أنفسهم بأنفسهم في المناطق التي يشكلون فيها أغلبية . ويقول كارمايكل : « اننا جزء من نضال العالم الثالث من أجل التحرر . لاننا في الحقيقة مجرد مستعمرات داخل الولايات المتحدة الاميركية . أما بلدان العالم الثالث فهي مستعمرات فسي الخارج . ونفس النظام الذي يستغل شعوب العالم الثالث هو الذي يستغل الزواج ويعذبهم ويحتقرهم . ان نضالنا من الداخل هو امتداد حتمي لنضال الشعوب في فيتنام وكوبا والشرق الاوسط » . وتعد فيتنام بمثابة الهام للسود الاميركيين الذين لديهم وعي سياسي ، حيث ان هذه الدولة الصغيرة غير البيضاء التي تعاني من الضربات المتتالية ، نجحت في مواجهة فسوة النيران المركزة للالات الحربية الاميركية دون أن يصيبها التصدع .

ويرد كارمايكل على ضرورة توحيد نضال السود المضطهدين مع

ولكن هناك نضالا طويلا وشفافا في المرحلة ما بين الكفاح المسلح والممارسة العملية المؤثرة . ان حركة القوة السوداء نحتاج الى المزيد من الوضوح الفكري ، والى النخلص من عادة الغاء الشعارات الجرافية ، وأن تجهد لكي تربي عددا متزايدا من القيادات والكوادر الواعية ، حتى لا تنتهي الحركة باغتيال زعيم أو اعتقال آخر أو اختطاف ثالث ، وهي الاساليب المعروفة لوكالة المخابرات الاميركية . . . وحتى لا تكون مجرد هبة للعبيد سرعان ما تنطفئ . فالثورة لا تتم بمجرد نوفر المناخ والظروف والافتتاح ، وانما نحتاج الى استراتيجية واضحة وتنظيم قوي متماسك ، ونوريين (محترفين) ، والى ايمان صوفي من الملايين يستعذب الموت في سبيل الهدف ، حتى لا تتعرض الحركة للتراجع او التوقف . فالشمن المطلوب فادح والتضحيات بالفة الضخامة ، ربما نوازي أو تفوق كل ما دفعه الزنوج خلال نضالهم الطويل عبر القرون الماضية .

١ - العنصرية البغيضة المتأصلة والمتوارثة في قلوب البيض ، خاصة العمال ، والتي تؤكدها أجهزة الفكر والاعلام المسيرة من طرف الرأسمالية الاميركية البيضاء .

٢ - ان هؤلاء مستفيدون من وجود الاستنزاف الاميركي لثروات شعوب العالم الثالث . ولن يتكون لديهم ضمير نوري يدفعهم دفعا الى التحالف مع السود الا حين نتجح الضربات المتتالية التي يوجهها العالم الثالث للاستعمار الاميركي في أن نقضي على احتكاراته واستنزافه لثرواتها . حينئذ فقط سوف نكون اميركا مضطرة لان تعيش على نروانها الخاصة . ولن يستمتع العامل الابيض بعد ذلك بفائض الجهد والعرق الملون خارج الحدود ، وبعبائد المواد الخشام الرخيصة .

فريدة النقاش

« ولن نفد نحن مكشوف الايدي حتى يأتي ذلك اليوم . وانما سوف نقوم بدورنا . وعلينا أن نعد أنفسنا منذ الآن . ان ٤٠ ٪ من الجنود الاميركيين العاملين في فيتنام هم من الاميركيين السود . وقد تعلم اخواننا القتل بصورة علمية . وسوف يكون هذه التجربة مفيدة لنا في نضالنا بالداخل » .

ويسمى كارمايكل السود في اميركا بالافريقيين الاميركيين . ويصف تحوله الى هذه السياسة العنيفة فيقول : « صعدت في مدينة مونتغمري بولاية الاباما عندما شاهدت امرأة زنجية حبلى تسقط من جراء نفخة قوية انطلقت من الانبوب الخاص باطلاق الحرائق . وشاهدت عشرات الرجال والنساء تدوسهم حوافر خيل الشرطة . وفجأة اختلط كل شيء امامي وأخذت أصرخ . ولم أسكت حتى وضعوني في الطائرة . وفي ذلك اليوم عرفت اني لا يمكن ان انلقى الضربات دون ان اردھا . ان اطلاق وصف اللاعنف على حركتنا ، كان مجرد تكتيك وضعناه في انتظار اكتمال العدة للثورة » .

واستقطب هذا التيار متزايدا من السود ، وأصبح الفرس الذي تراهن عليه القوى الثورية من الملونين في اميركا . فبعد أن قطع الاميركيون السود أسواط طويلة في النضال السلمي والعنيف ، واستمر هذا النضال ممزوجا دائما ، زطيلة أربعة فرون بالدم ، ما زالوا يعيشون في حالة الحصار والفربة . ولم يعد امامهم الا طريق العنف الثوري اختيارا أخيرا ومحتما .

ويدعم من هذا الاختيار انه يأتي في الوقت الذي تواجه فيه الولايات المتحدة الاميركية أزمة اقتصادية تهدد بالانفجار يوما بعد يوم . وتزداد فيه ضربات الشعب الفيتنامي وتقترب المعركة هناك من النهاية . وتدخل حركة التحرر الوطني في صدامها مع الاستعمار بزعامة الولايات المتحدة ، طورا جديدا ، ويتأكد اصرارها على طريق التنمية والتحول الاشتراكي ، تؤازرها مساندة فعالة من العالم الاشتراكي الذي يزداد قوة ورسوخا سنة بعد اخرى . كل هذا يفت من عضد البناء الرأسمالي ، ويفتح الطريق امام ملايين السود فسي الداخل الاكثر فقرا ، والاكثر ثورية ، والذين وضعوا أقدامهم بوضوح

شعر من منشورات دار الآداب

٢٥٠	عبد الوهاب البياني	سفر الفقر والثورة
٢٠٠	=	ابارق مهشمة
٢٠٠	=	الذي يأتي ولا يأتي
٢٥٠	=	الموت في الحياة
٢٠٠	=	كلمات لا تموت
٢٥٠	=	النار والكلمات
٢٠٠	=	الكتابة على الطين
٢٠٠	محمود درويش	المصافير نموت في الجليل
١٥٠	صلاح عبدالصبور	الناس في بلادتي
٢٥٠	=	اقول لكم
٢٥٠	=	احلام الفارس القديم
٣٠٠	=	مناسة الحلاج
٢٥٠	احمد عبدالمعطي حجازي	لم يبق الا الاعتراف
٣٥٠	ابراهيم طوقان	ديوان ابراهيم
٦٠٠	ادونيس	المرح والمرايا
٢٠٠	سالم جبران	قصائد ليست محددة الاقامة
٢٠٠	سعدى يوسف	بعيدا عن السماء الاولى
		علي محمود طه (مختارات من
٢٥٠	صلاح عبدالصبور	شعره) اختارها وقدم لها
		ابراهيم ناجي (مختارات من
٢٠٠	احمد عبدالمعطي حجازي	شعره) اختارها وقدم لها
		بدر شاكر السياب (مختارات
٢٥٠	وقدم لها ادونيس	من شعره) اختارها
٢٠٠	حسب الشيخ جعفر	نخلة الله